مياه الأمطار المهدرة
ثروة يجب الإفادة منها

أ . د . أحمد مصطفى أبو الخير

مياه الأمطار المهدرة

ثروة يجب الإفادة منها

للأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

أستاذ الدراسات اللغوية – جامعة دمياط

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

في أحد مؤتمرات عربية بنى يعرُبَ، وفي إحدى الحواضر الخليجية جلس إلى جانبي شاب عربي يماني، سألني بشكل فجائي مفاجئ: لماذا لا تُفيد مصرُ من مياه الأمطار، إننا في اليمن السعيد نعيش ونزرع على مياه الأمطار؟ كيف هذا يا فتى؟ حكى الفتى:

في البيوت ماسورة (تشفط) المياه من سطح المنزل إلى حيث خزان على الأرض، أو هو مدفون في تيك الأرض، يفاد من ذَيَّاك الخزان عند انقطاع الأمطار، كما يُستخدم في الشرب للأناسي وغير الأناسي مما دجن من طيور المنزل وحيوانه.

ويمن العرب- يُضيف الشابُّ- معروف منذ القدم بصناعة السدود والصدود والخزانات لخزن المياه إلى يوم يحتاج إليه، سد مأرب، أشهر من أن يُذكر، وإن ذكر فلا أراه من أحدٍ يُنكر، أو فيه يشكك.

ومع هذا، وبرغم هذا، فهذي كُلَيمة عن ذياك السد:

لقد بُنِي ذياك السدُّ أولَ القرن الثامن قبل الميلاد، واستمر يخدم البلاد والعباد قرابة ١٤٠٠ سنة حتى دمره سيلُ العَرِم في أوائل القرن السادس الميلادي، ولكن قرأت أن سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله قدم تمويلًا للحكومة اليمانية من أجل إعادة بناء السدِّ، وافتُتِح أواخر عام ١٩٨٦م[1].

انهيار سد مأرب أشار إليه القرآن الكريم، في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)} [سبأ: ١٥-١٧].

هذا أحدُ طلابي يعد أطروحته للدكتوراه يذكر لي أن هناك من عجب من أهل مصرنا، كيف لا يفيدون من مياه المطر في مصرهم، كما أن جامع أحمد بن طولون في القاهرة مصمَّم على أساس ألا يُضارَّ من مضارِّ المطر.

---

[1] ويكيبيديا، سد مأرب في ٢٠٢٣/١٢/٨م.

تلميذي هذا، وذياك الشاب اليماني خاصةً دفعاني وحفزاني أن أكتبَ عن موضوعنا هذا، بادئًا من شأن الأمطار في العالم إليه في الأقطار العربية، إلى مصرنا، ثم إلى مدينتي، مدينة دمياط الجديدة، عروس المدن الجديدة، وكيف يمكن أن يفادَ فيها من مياه أمطارها، فعلى بركة الله نبدأ وبتوفيقه نستمر، وكذا ننجز.

الأمطار هي نعمة أم هي نقمة؟

هي نعمةٌ كبرى إن أُفيد منها، وصُرفت إلى مصارفها المفيدة الخادمة للبشرية والشجر والحجر، فإن هي تُرِكت سدرت في خطرها، لا يقف في طريقها واقف، من إنسانٍ أو جانٍّ.

السيول، وانجراف التربة، وتأكل السطوح والأسطح، وأن تتحول الطرقات غيرُ المرصوفة أوحالًا وطينًا، وافتراس الأمطار للطرق المرصوفة الممهدة واحتناكها بكل قسوة وشراسة، كل هذا وغيره من مخاطر الأمطار الغزيرة، وشرس الفيضانات يدخل في أسفار الأمطار وشراسة أعراضها، كيف؟ هذي أمثلة مما سبق.

١-إن من المناطق غزيرة الأمطار في الأقطار دولة بنجلاديش، بلاد البنغال التي انفصلت عن الباكستان عام ١٩٧١، قرأت أن الناس في ذياك البلاد تفر من الأمطار إلى أعالي الأشجار؛ ليجدوا مَن سبقهم فرارًا من المطر إلى عليا الشجر الحياتِ والثعابينَ والعقارب، الزواحف ما صغُر منها وما كبُر فرارا من خطر المطر، البشر إن ضايقوا تيك المخاليق فإنها تدافع عن نفسها، وتجاحش بسم زُعاف يجعل الحى ميتًا، على عجل يغادر هذه الحياة، وعندما سافرت إلى تايلاند (بلاد الشجعان)- وكانت تسمى قبلًا: مملكة سيام- كان في ذهني وبوعي شديد هذي الحكايات والسرديات، فكنت على حذر من خطر مياه المطر، فإن هذي الحيات وتلك الثعابين وما لف لفَّها تحس بحرارة شديدة من السم الذي تحمله في جنباتها، ولذا فإن ما إن تتمكن جسد غيرها من طير أو حسوان أو الإنسان فإنها تفرغ سمَّها

أجمعه، لا تبقى منه صبابة أو نقطة منه، ومن ثَم كان على أن أبتعد حذرًا من هذي المخاليق، وفي إحدى الليالي كنت على جانب الطريق المرتفع عن جوارها، والذي امتلأ بالماء، نظرت عن يساري في الماء إذا بثعبان طوله ما بين متر وربع أو يزيد، يلعب ويتلوى سرورًا وحبورًا، يذكرني بأبنائي وهم صغار يلعبون على الشاطئ في حبور وسرور بالغين.

ومن فضل الله علينا أن هذي الزواحف الخطرة ما تترك مكمنها الرطبَ ألا مرةً أو مرتين في الأسبوع، سيما بالليل، فإذا جاءت الأمطار أسرعت إليها تسبح فيها، كي تخففَ من حمى السم بين جنباتها، وقد ذكر أحد المتحدثين في إحدى الفضائيات محذرًا من العقارب عقبَ انهيار سدي ليبيا عندما هجر الناس دورهم بعد أن داهمتهما مياه السدين، حذَّر من العقرب خاصةً بالليل؛ لأنه يخرج من جحره باحثًا عن طعامه بالليل وشرابه.

وهذا ما يوكده ما روته إحدى السيدات من أن بعض ملابسها قد حملت شيئًا لم تبصره؛ حيث إن الملابس مر ذيلها على كومة صغيرة من فضلات القُمامة، فمدت يدها للتخلص من هذا العالق بذيل الملابس، فكان هذا العقرب الذي عقرها في أحد أصابعها، فاضطر الطبيب إلى محاولة إخراج السموم من إصبعها.

مساكن الجامعة التي كنا نسكنها في الجامعة الإسلامية في تايلاند ٢٠٠٩- ٢٠١١م كان يفصلنا عن الغابة المجاورة بضعة أمتار، ومن لطف الله بمخاليقه من بنى الانسان أن وحوشَ الغابة لا تخرج إلينا؛ لأنها تجفل من الصوت والضوء، كما أن الجامعة فرارًا من خطر الأمطار أقامت المساكن للطلاب وللأساتذة على ربوةٍ غاليةٍ مرتفعة عن حرم الجامعة ومبانيها الأخر.

٢- **انهيار السدين في ليبيا**: لقد أثار انهيار السدين بمدينة درنة التي تقع في الشمال الليبي جَرَّاء إعصار دانيال أسئلةً عدة حول أسباب الكارثة غير المسبوقة في الديار الليبية، فقيل: إن عدم صيانة السدين كان له تأثير واضح في وقوع الكارثة التي أدت إلى غرق أحياء كاملة في الجارة ليبيا؛ ما أدى إلى شق مقابرَ

جماعيةٍ لدفن جثث ضحايا الإعصار، فقد لقى ما لا يقل عن خمسة آلاف شخص مصرعَهم في درنة، وفُقِد نحوُ عشرة آلاف شخص جَرَّاء الفيضانات، عدا ما لا يُحصى من المشردين.

يقع السدان- وهما سد أبى منصور وسد البلاد- جنوب مدينة درنة، مع قرب الثاني من مداخل المدينة، وكان ارتفاع السدين يبلغ حوالي أربعين مترًا، بناء هذين السدين كان بسبب سلسلة من الفيضانات- خاصة في الأعوام ١٩٤٠، ١٩٥٩، ١٩٦٨- في أعقابها رأت دراسات في ستينات القرن الماضي بناء هذه السدود لحماية المدينة من الفيضان[١].

هذا مثال على الأمطار عندما تفلت من عقالها؛ لأنه أُسيء التعاملُ معها، وعدم الإفادة منها؛ ما أفقد السيطرة عليها، ومن ناحية أخرى هذه مؤشرات على أن العالم العربي غير فقير مائيًّا؛ بل هو ما اسطاع الإفادة من هذه النعمة المتوافرة، والتي تفيض حتى تؤذيَ البلاد والعباد، والبشر والحجر.

٣- **السيول في المنطقة العربية**: كثيرًا ما تداهم السيول الناس في الأقطار العربية، وهذي أمثلة، مجرد أمثلة:

أ- مصر: قرأت في الشبكة الدولية[٢] : ارتفاع ضحايا السيول في مصر إلى ٢٦ قتيلًا، أعلنت وزارة الصحية المصرية يوم السبت ٢٠١٦/١٠/٢٩ وفاة ٢٦ شخصًا، وإصابة ٧٣ آخرين، في عدة محافظات في الجنوب والغرب، في حصيلة جديدة للسيول الناجمة عن أمطار غزيرة تضرب البلاد منذ يومين.

وفي سرد الخسائر رأينا: قتل ٩ أشخاص في مدينة رأس غارب في محافظة البحر الأحمر، وهي أكثر المدين تضررًا من السيول، السيول قطعت الطرق، وغمرتها تمامًا، جرف السيل السيارات في طريقه وغير السيارات، أدت السيول إلى تصدع وانهيار بعض المنازل في تيك المدينة الساحلية الصغيرة... إلخ، وغالبًا ما تشهد مصرُ أمطارًا غزيرة في هذي الفترة من العام تؤدي إلى سيول.

---

(١) راجع bbc.com arabic في ٢٠٢٣/٦/٨.
(٢) algabas.com/article في ٢٠٢٣/١٢/٩م.

ب- السعودية: في ٥/ ١٢/ ٢٠٢٠ حذر الدفاع المدني السعودي من مخاطر السيول والأمطار الغزيرة التي تشهدها المملكة بين الحين والآخر، في الوقت الذي هطلت فيه الأمطار في عدد من المناطق كما في مركز الشفا، التابع لمحافظة الطائف[١].

جـ - المغرب: بعنوان: قبل التعافي من الزلزال سيول جارفة تضرب جنوب شرق المغرب، قرأت: إن مدينة (ميدلت) في جنوب شرق المغرب تعرضت لأمطار غزيرة أدت إلى فيضانات هائلة؛ إذ استمرت قوية جارفة جرفت السيارات، وأسقطت الأشجار.

وسائل إعلام بتاريخ ١٤/ ٩/ ٢٠٢٣م ذكرت: صورًا لانجراف السيارات في الشوارع والطرق؛ ما يدل على شراسة السيول وشدة بأسها[٢].

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن السيول ومخاطرها في المنطقة القريبة، وقد اكتفينا بأمثلة ثلاثة من مصر والسعودية والمغرب، ونسرع الآن إلى النقطة التالية من خطر المطر، وهي:

٤- انهيارات التربة: وهذي أمثلة:

في تنزانيا ـ ٧٦ قتيلًا جَرَّاء انهيار التربة بسبب الأمطار: ارتفع عدد ضحايا انزلاقات التربة الناجمة عن الأمطار الغزيرة شمال تنزانيا (شرق إفريقية) إلى ٤٦ قتيلًا، و٨٥ مصابًا، وذلك وفقًا لحصيلة مؤقتة قدمتها المفوضية الإقليمية للمنطقة المتضررة.

ومن ناحية أخرى فقد هطلت أمطار غزيرة على بدة (كاتيش) في شمال تنزانيا، على مبعدة من شمال العاصمة (دودوما).

وكانت حصيلة أولية سابقة أعلنتها وكالة فرانس برس أن القتلى كانوا عشرين قتيلًا[١] .

---

(١) اليوم السابع youm٧.com بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٩م.
(٢) انظر sputnitarabic.ae
(١) بوابة الوسط، صوت ليبيا الدولي، السبت ٢٠٢٣/١٢/٩ انظر alwasat.ly/new/ international

ب- في البرازيل: أكدت السلطات الحكومية في البرازيل وقوعَ انهيار أرضي بسبب الأمطار الغزيرة أدى إلى مقتل ثمانية، وطمر آخرين، وفي التفاصيل قتل لا يقل عن ٨ أشخاص في انهيار أرضي بسبب هطول الأمطار الغزيرة على حي متواضع (فقير) في سفح تل، في مدينة (ماناوس) شمال البرازيل، وأكدت السلطات الحكومية أ ن رجال الإنقاذ يسابقون الزمن لإزالة الأنقاض والطين أملًا في العثور على ناجين [٢]، وكان هذا في ١٤/ ٣/ ٢٠٢٣.

جـ - وفي الهند: التربة تنهار وتجرف الطرق الجبلية، وفي التفاصيل: قالت سلطات ولاية (ماهارا شترا) بوسط الهند استمرت انهيارات التربة في المنطقة بسبب الأمطار الغزيرة، وذكرت السلطات أن عدد ضحايا هذي الانهيارات زاد عن ١٦٠ قتيلًا، وتم إجلاء أكثر من ١/٤ مليون من السكان، وقد انهارت قطعة عملاقة من الجبل بسبب المطر الغزير لتقطع الطريق تحتها[٣].

د- وفي لبنان العزيز سائل وسائل الاعلام اللبنانية عن أمطار هذا الشهر ديسمبر هذا، في يوم ٢٣-٢٤/ ١٢/ ٢٠٢٣م كيف قطعت الطرق الرئيسة في لبنانهم، أغرقت السيارات الخاصة، وعندما جاءت سيارات البلدية لإنقاذ هاتيك السيارات الخاصة غرقت سيارات البلدية التي رامت إنقاذَ سيارات الناس، ناهيك عن بيوت تهدَّمت، وفتتها مياه الأمطار، تيك الأمطار وذياك الماء ما حطما الحجر والحجرات وكذا الحوائط والبنيان؛ بل تعدت الحجر والشجر؛ بل طالت البشر حيث قضت إحدى العائلات السورية في ذياك المطر الفياض.

أحوال الأمطار النازلات من السماوات

[٢] www.sharja٢٤/ae في ٢٠٢٣/١٢/٩م.
[٣] راجع arabic.rt.com تاريخ النشر ٢٠٢١/٧/٣م.

أولًا- في العالم: كمية الأمطار في العالم كل عام = ٥٠٥ ألف كيلو متر مكعب؛ أي = ١٢١ ألف ميل مكعب، منها ٣٩٨ ألف كيلو متر مكعب فقط البحار والمحيطات، أي النسبة الأكبر، ولكن ما هي الدول الأكثر مطرًا وأعلاها؟ إنها عشر، هن:

١- كولومبيا، ٣٢٥٠مم في السنة، وتقع جمهورية كولومبيا في أقصى الشمال الغربي من قارة أمريكا الجنوبية، تحدها من الشرق فنزويلا، ومن الجنوب الغربي إكوادور التي رأس وفدها بالأمس[١] جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أصدرت قراراها بوقف إطلاق النار في غزة بعد ما يزيد عن شهرين من الحرب الطاحنة، منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م.

٢- جمهورية (ساوتومي دبريتسيبي) وتقع هذي الجمهورية قبالة الجابون على الساحل الإفريقي المشاطئ للمحيط الأطلسي، على ساحل إفريقية الغربي، في هاتيك الجمهورية (وهي مجموعة من الجزر، أي أرخبيل) الأمطار ٣٢٠٠مم في السنة.

٣- بابوا عينيا الجديدة (٣١٤٢مم في السنة) والتي تقع شمال أستراليا.

٤- جزر سليمان: (٣٠٣٨مم في السنة) وتقع إلى الشرق تمامًا تمامًا من غينينا الجديدة التي سلفت.

٥- بنما (٢٩٢٨مم في السنة).

٦- كستاريكا (٢٩٢٦مم) في السنة .

٧- ماليزيا (٢٨٧٥مم) في السنة .

٨- بروناي (٢٧٢٢مم) في السنة .

٩- أندونيسيا (٢٧٠٢مم) في السنة .

١٠- بنغلاديش (٢٦٦٦مم) في السنة[٢] .

---

[١] الثلاثاء ٢٠٢٣/١٠/١٢م .

[٢] موقع النهار، انظر: ٢٦sep.com.

ثانيًا: الأقطار العربية الأكثر مطرًا في العام: تأتي على رأسها جنوب السودان، وحوض المتوسط، الشام في المشرق: (سورية – لبنان – فلسطين).

ثالثًا: الأمطار في مصر: تُقدَّر الأمطارُ في مصر في العام ٥١مليار متر مكعب، لا يتم الإفادة فقط إلا من ١.٣ مليار فقط فقط، والتي تسقط على مناطق الدلتا، أما في المناطق الصحراوية فلا يبدو أنه يفاد منها.

رابعا: نماذج من البلدان التي تفيد من مياه الأمطار: بلدان كثيرات عديدات؛ بل فوق العد والحصر، لكنا نقدم نماذج معدودات فقط، منها فقط على سبيل المثال، المثال فقط.

- في سنغافورة: يفاد من مياه الأمطار بسحبها من أسطح المنازل والمباني ووضعها في خزانات لاستخدامها في مختلف الاستخدامات والأغراض.
- وفي أستراليا: ترى خزانات المياه المجلوبة من الأمطار بجوار كل منزل.
- وفي فرنسا وألمانيا مثلًا مثلًا: تُركب مواسير لشفط المياه من الأسطح إلى حيث تُستخدَم لاستصلاح الأراضي وزراعتها.
- وفي ماليزيا حيث عشت سنتين في حاضرتها (كولالمبور) وزرتها عدة مرات منذ نهاية التسعينات، كنت أعمل في الجامعة الإسلامية العالمية (١٩٩٠– ١٩٩٢) وجدنا مواسير لشفط الماء وسحبه من الأسطح والأماكن المرتفعة، هذي المواسير أمامَ المباني والمنازل، أما مواسيرُ الصرف من الحمامات فهي في خلف المنزل، فإذا سكتت الأمطار وتوقفت فلا يُرَى على الأسطح والمنازل والمباني شيء من المياه البتةَ.

في بيئتنا الذي كنا نسكن في حي (تمنتون دكتور إسماعيل) أي: حدائق الدكتور إسماعيل، كان أمامه حديقة معلقة شديدة الاتساع كنا نرى المياه تنساب من على سُلَّم الحديقة المرتفعة عن الأرض ولمدة ساعة، أو ساعتين، تنصرف إلى حال سبيلها، لا يبقى منها شيء البتةَ بعد توقف الأمطار بوقت وجيز، وكذا الحال في جنوب تايلاند المجاورة لماليزيا، تُسحَب كلُّ المياه الأمطارية إلى الأنهر والمجاري

المائية، ومع هذا كانت الأمطار تفيض عن تيك الأنهر والخزانات حتى تصلَ إلى الطابق الثاني من الدور والمباني (أحيانًا).

وفي جامعة فطاني في جنوب تايلاند؛ حيث كنت أعمل ٢٠٠٩-٢٠١١ بنت الجامعة مساكنَ الأساتذة والطلاب على ربوةٍ مرتفعةٍ عن حرم الجامعة ومبانيها وكلياتها، إلى جانب المسجد الكبير الذي يتوسط الحرم الجامعي، بركة كبيرة للمياه تتجمع فيها مياه المطر، إن زادت وفاضت.

هذي أمثلة من إفادة أقطار العالم من مياه الأمطار، فماذا عن العالم العربي؟! وهنا نَذكُر ونُذكِّر- بكسر الكاف مشددة- بما يلي:

١- **اليمن**: يعيش على مياه الأمطار، وبشكل رئيس في جميع شؤونه، كيف؟

أ. تدرج الجبال والمرتفعات لتيسير وتسهيل زراعة هذي المدرجات كي تسقيها الأمطار.

ب. إقامة السدود على مداخل فتحات الأودية لحجز المياه إلى حين تُستخدم.

جـ. شفط المياه من على الأسطح بمواسير إلى حيث الخزاناتُ على الأرض أو تُدفَن في الأرض إلى حين وحيث تُستخدم في الشرب أو الري... إلخ.

د- ذكر لي الشاب اليماني المشار اليه سالفًا أن الريم الأخضر الذي يتكون أعلى المياه إنما هو لحفظ المياه تحته، وهو مكانٌ آمن لحفظ المياه من التلوث، ومن الشمس؛ ولكن هل الشمس مضرَّة؟ يرى بعض الفقهاء: (ويُكرَه شرعًا- كراهة تنزيه- الماء المشمس؛ أي ما سخنته الشمس؛ أي يُكرَه استعمالُه في البدن، في الطهارة، وغيرها، كأكل وشرب) لماذا؟ قيل: لأنه يورث البرصَ.

إذن هل الكراهة في الماء الذي يتعمد أصحابه تسخينه أو تدفئته عن طريق الشمس أم الذي يترك عفوًا لا قصدًا لدفء الشمس، وهل من هذا مضار طبية؟ هذا ما سوف ننظر فيه في وقت لاحق.

ونعود إلى صاحبنا اليماني الذي ذكر أن هذا الماءَ حين تزاح عنه الطبقة الخضراء من الريم كالسكر في بلد تجن فيه أسعار السكر، الذي يشح من الأسواق في أي وقت من الأوقات، فهل هذه الطبقة من الريم تحفظه من ضربات الشمس وبأسائها؟ الله أعلم.

وننتقل إلى بلدٍ عربيٍّ آخرَ، هو:

٢- **الأُرْدُنُّ**: في قانون المباني يُفرَض على كل عقار جديد وعلى مالكه وضعُ خزان لمياه الأمطار، لا يقل عن ١٢ مترًا، وتُفرَض غرامة على كل مخالف.

إن شفط المياه من على أسطح المباني تجنب هاتيك المباني الأخطار والتآكل والتصدع ما يؤدي إلى قصر عمر المبنى، سيما السطح الأخير، وهذا ما يحرص عليه الناس في دمياط، وهو العناية التامة بالسطح الأخير من المباني؛ حيث يُوضَع عازل على السطح قبل تبليطه، وصرف المياه من السطح إلى مواسير تصرف هذي المياه إلى شبكة الصرف.

وهذا عبءٌ كبير على هاتيك الشبكات، ومن ناحية أخرى فإن هذي المواسير الشافطة لمياه الأمطار قد تُطمس وتنسد، وهنا تجد المياه تفتك بالمبنى، سيما السطح الأخير فتكًا فتكًا.

وفي محافظة الشرقية حيث كنا نسكن فإن الناس في أريافهم يعمدون إلى معالجة هذي المشكلة بنزح الماء، ولكن إلى أين؟ إلى الشارع، أو وضع مواسير لطرد المياه من السطح إلى الشارع أيضًا، وهنا تدب الخناقات والمشاجرات والمشاحنات بين هؤلاء الجيران.

وعندما بنيت بيتي الأول جاء لي صديق مخلص لينصحني- وهو بالمناسبة من نفس محافظة الشرقية، مهندس مدني- ينصحني بتبليط سطح المنزل، وجعل هذا التبليط على ميل ليصرف مياه الأمطار إلى شبكة الصرف بالمنزل، ومن ثَم شبكة الصرف العمومية في البلد، وهو ما كان، ولذا حين جاءت الأمطار، وصرفت إلى حيث ذكرنا لم يبقَ شيء من مطر ينسكب إلى الشارع يستفز الجيرانَ ويثيرهم على أصحاب المنزل.

٣- وفي مصرنا: كان مشروع فصل مياه الأمطار عن الصرف الصحي في محافظة الإسكندرية؛ حيث الأمطار غزيرة تدمر كل شيء في طريقها، نفترس الطرق والمباني القديمة المتهالكة، وتطيح بها، ولذا فإن الدولةَ تعمل حاليًّا للقضاء على ظاهرة تراكم الأمطار في شوارع الإسكندرية.

وتأتي المرحلة الأولى من الإستراتيجية المتكاملة لإدارة مياه الأمطار في هاتيك المحافظة بفصل مياه الأمطار عن مياه الصرف الصحي؛ أي: بالتفريق بين النوعين من المياه، مياه الصرف ومياه الأمطار، بدءًا من أحياء شرق، والمنتزه شرق، ثم باقي الأحياء، ويتم هذا العمل بإشراف جامعة الإسكندرية، والأمل أن يكون هذا المشروع بداية لمشاريع مماثلة تغطى المدن المصرية والطرق للإفادة من مياه الأمطار، حفاظًا على الطرق التي تنهار سريعًا إذا اشتد المطر، أو المباني سيما القديم الذي يصدع ويتهالك إذا داهمته الأمطار.

صحيح أن هذي المطار إذا نزلت إلى المزروعات المنزرعة والمساحات الخضراء في الدلتا أو غيرها فرحت الأرضُ واهتزت وربَتْ؛ ولكن فيما عدا هذا لا تفيد ولا تستفيد من الأمطار بلد من بلدات مصرنا، كما في صحراوات مصر، أو لا يفاد منها بالشكل المناسب.

ومن عجب عجاب عجيب ما قرأته في الشبكة العنكبوتية عن مياه الأمطار في مصر: أنه لا يمكن أن يفاد منها؛ لأنها غير منتظمة، فلله الأمر من قبل ومن بعد، ولا يُحمَد على مكروهٍ سواه سبحانه وتعالى!

ومما سرَّني أن بعض القنوات التليفزيونية والإذاعات التي تلح على الناس صباحَ مساءَ بالتبرع والتصدق على الفقراء قد ذكرت أنها تدعو الناسَ إلى التصدق والتبرع لإنشاء آبار تتجمع فيها مياه الأمطار ليفاد منها فيما بعد.

سقوط الأمطار هذا شيء عظيم مبشِّر، وإن أتى أخيرًا أخيرًا، فلأَنْ تأتيَ أخيرًا خيرٌ لك من ألا تأتيَ.

بيت القصيد

هنا، هو دمياط الجديدة [1] على ساحل البحر المتوسط، لماذا لا نفيد فيها من مياه المطر؟ ولماذا دمياط الجديدة بالذات، هل لأني أسكن فيها منذ عودتي من ماليزيا ١٩٩٢، فقط؟ كلا، إنما لسببين رئيسين، هما:

- كثرة الأمطار، تشبه الإسكندرية في هذا المطر، هذا هو السبب الأول.
- والثاني- وهو الأهم- وجود بنية تحتية جاهزة الآن للإفادة من المطر، كيف؟

إن جميع المباني الخاصة والعامة في دمياط الجديدة تبلط فيها الأسطح التي تعزل فيها تيك الأسطح قبل تبليطها بعازل يمنع تسربَ المياه إلى السطح أو إلى المبنى بمادة عازلة، اسمها (البتومين)[2]، وربما بعازلٍ آخرَ، كما يعني بالبلاط نفسه والفواصل بين البلاط حتى لا يتسربَ من هذي الفواصل شيء من المياه.

هذي الأسطح المبلطة ميولها نحو ماسورة خارجية منفصلة عن مواسير الصرف الصحي، ولكنها في النهاية تصب في شبكة الصرف الصحي لتزيد هذي الشبكة عبئًا على أعبائها الثقال.

والرأي هنا أن تُفصَل مياهُ المطر عن مياه الحمامات لتصب في خزانات أمام المبنى أو في خلفه ليفاد من هذه المياه الطاهرة النظيفة في:

١- في صرفها إلى مجاري المياه النظيفة- إن وُجِدت- وفي بحث سابق لي كان حول: (إنقاذ الثروات المهددة، الطريق إلى بيئة آمنه ونظيفة)، وقد نشر في الأهرام الاقتصادي عام ٢٠٠٠ دعوتُ فيه إلى الإفادة من مياه الوضوء في المساجد، سواء بصرفها إلى المجاري المائية القريبة، أو في الحدائق أو المساحات الخضراء، أو فيما نشاء ونحتاج.

والفكرة هنا حول ماء المطر العاتية واتقاء شرها؛ بل محاولة الإفادة منها، أو من غيرها.

---

[1] انظر مثلًا: موقع www. Youtube.com لتجد جولة كاملة في دمياط الجديدة.
[2] ويعرف باسم (الإسفلت) أو الزفت، ويستخدم في رصف الطرق أيضًا.

٢- أو في ري الحدائق والمساحات الخضراء في المباني العامة أو الخاصة أو المجاورة لهاتيك المباني.

٣- غسل السيارات، الخاصة والعامة.

٤- رش الطرق عندما تشتد حرارة الصيف.

٥- أو في عملية إنشاء المباني، في آية مرحلة من مراحل الإنشاء.

٦- أو في احتياجات المصانع من المياه.

٧- أو في إطفاء الحريق إذا نشب، لا سمح الله.

٨- أو في الشرب، ولو لغير الإنسان من المخلوقات الداجنة أو غيرها من مخلوقات الله.

ومهما كانت المحصلة من مياه المطر أقلَّ أو أكثرَ فإن هذي المياه نعمةٌ من نعائم الله العميمة علينا، نتذكر قوله المصطفى صلى الله عليه وسلم لحبيبه سعد بن أبى وقَّاصٍ:

- ما هذا السرف يا سعد؟
- أو في الوضوء- أو الماء- سَرَفٌ يا رسول الله؟
- نعم، ولو كنتَ على نهرٍ جارٍ!

٩- ولا تنسَ- عزيزي القارئ- أن المياهَ العمومية يمكن أن نتقطعَ في أي وقت، وإن كان هذا نادرًا ما يحدث في مدينة دمياط الجديدة، وفي هذي الحالة فإن خزانات المطر تعمل احتياطًا وتحوطًا من انقطاع هذي المياه العمومية.

١٠- أو الوضوء، سيما بالقرب من المساجد أو الزوايا، أو دور العبادة بشكل عام.

وكنت في تايلاند (٢٠٠٩-٢٠١١م) وزرتها بعد هذا التاريخ وقبله كثيرًا، إن الشقة التي كنت أسكن فيها في هذا التاريخ وبعده لها خطان من المواسير، إن قطعت عن هذا الخط أو ذاك وجدت الخطَّ الآخر يعمل، وذلك بسبب غسل المواسير أو انقطاع المياه لأي سبب، كلام مفيد ومهم، حبذا لو أخذنا به، أو فيه نظرنا.

ولكن أليس تيك الإجراءات التي تبغي الإفادةَ من ماء المطر مكلفة، وتحتاج إلى تمويلات ممولة ونفقات ومصروفات؟ بلى؛ بلى ولكن العواقب سليمة وشديدة الفائدة، ولا بد منها.

وكنت كتب قبلًا في يوليو الماضي عن الإفادة من ماء جهاز التكييف في منزلي، وكنت أول من طبق الفكرة على نفسه، فأخذت من هذا الماء كثيرًا، في الوضوء وغسل اليدين بعد الأكل وغيره وغيره.

وفكرة الإفادة من ماء المطر هذي التي عنها أكتب سأحاول الإفادة منها في بيتي إن شاء الله.

والشيء بالشيء يُذكَر فلا يُعاب من أحدٍ ولا حتى يُنكر، ثروات أخرى مهددة في مدينتي، مدينة دمياط الجديدة، فمحافظة دمياط بشكل عام مشهورة بأشجار النخيل التي وصلت سابقًا إلى لملايين من

النخيلات، وقبل بناء المدينة مدينة دمياط الجديدة قطع عدد كبير جدًّا من نخيلها، والآن في مدينتنا ما لا يُحصى من نخيل زُرِعت أعدادٌ منها، سواء في المنشآت الخاصة أو العامة أو الشوارع، ومن الطريف أن النخلة بمجرد ظهورها من الأرض فإنها تسرع تثمر حتى يصبح رطبًا جنيًّا، فأما ما يخص القطاعَ الخاصَّ من النخيل وبيوت الأهالي من النخيل فإن أهليها يهتمون ويحافظون عليها، ولأنها قريبة من الأرض، فإن أثمرت وقاربت الثمار على النضوج فإن أصحابَ النخيل ربما يغطون سباط البلح وهي على النخل بأوعية تحفظها من التعدي عليها.

أما باقي النخيل في الأماكن العامة، أمام المساجد، أو في المؤسسات العامة، أو حتى في الشوارع فإن بلحه يبقى يتساقط ويتساقط إلى آخره، وهذي ثروة مهددة بشكل أكيد أكيد ووكيد.

فما كان ملكًا خاصًّا للأهالي فرعايته في أعناق أصحابه، وما كان في الشوارع والمؤسسات العامة- كليات مثلًا أو مدارس أو غيرها- فإن إدارة المدينة أو جهاز التعمير بها يمكن أن يطرح مزايده لبيع هذا البلح الذى يتساقط على الأرض دون أن يأبه به أحد، ويأتي المشتري ليجني هذا المحصولَ وعلى نفقته، ثم يستخدم ثمن هذا البلح في دعم النفقات والخدمات لأناس المدينة وسكانها.

ومن الطريف أن ذياك البلح مهما نضج أو احمر احمرارًا، برغم قربه الواضح من الواضح من الأرض فإن أحدًا لا تمتد إليه يده، خاصة الأطفال، ولو كان في مكانٍ آخرَ لامتدت إليه أيادٍ أتت عليه ربما قبل نضوجه، أو على الأكثر بمجرد نضوج بعضه.

ومن خصائص النخل الدمياطي:

١- أن النخلة بمجرد انفصالها عن أرضها، وقبل أن تنال أي حظ من طول فإنها تثمر، ولا يلبث بلحها أن يحمرَّ، ثم يصير رطبًا جنيًّا، ومن عجب أنك إذا نقلت النخلة- مهما صغُر حجمها- إلى منطقة أخرى غير دمياط فإنها لا تثمر، ولا تبشر بشيء من ثمر أو تمر إلا بعد أن تطول طولًا واضحًا، فلا يصعد إليها إلا (بالمطلاع) الذي يطلع به على النخل، على عكس

النخيل في دمياط تراه قصيرًا قصرًا؛ بحيث تصل إليه يد من تمتد إليه يده بسهولة، إن نقل إلى منطقة أخرى تأخر ثمره وتمره إلى أن يمتد كباقي إخوته في وطنه الجديد المنقول إليه، وليس المنقول منه في وطنه الأول.

٢- وثاني الخصائص المتميزة المميزة أن النخلة الدمياطية لا تجدها تنبت وحدها؛ بل من الوارد المتعارف عليه أن تجد حول هذي النخلة بناتها من الفسائل الصغيرات الكثيرات جدًّا، بعض الفسائل حول نخيلة عددناها عدًّا فوجدنا إحدى عشْرةَ فسيلةً حول النخلة الأم.

شيءٌ آخرُ من عدة الأشياء التي لا يُفاد منها- سيما في دمياط- أن في دمياط القديمة مثلًا أو في عزبة البرج، أو (رأس البر) هي عامرة عامرة بأنواع الأسماك، مزدانة بتنوع واضح، أنواع منوعة من الأنواع، لا تجدها بسهولة في مكانٍ آخرَ... إلخ إلخ إلخ.

يتبقى من المأكول- بالهناء والشفا- بقايا مختلفة عن ذياك المأكول، هذه البقايا تلقى إلى صناديق القمامة والمخلفات، في حين قرأت من سنوات أن (بوركينا فاسو) في غرب القارة الإفريقية[1]، هذا البلد الإفريقي يستخدم مثل هذي المخلفات كمخصبات للأرض، إنها فقط تُدفَن في الأرض، تأكلها الأرض تهضمها وتستوعبها، ولا تهدر في المزابل مع المخلفات، أفلا نستطيع أن نفعل كما فعلوا، فندفن بقايا السمك المأكول في التراب، يتحول إلى مخصبات لا إلى نفايات نحاول التخلص منها، وبشق الأنفس.

نتمنى في بلدنا أن يُفادَ من كل شيء، وأي شيء، وما يتبقى يفيد من كل شيء، ومتبقي كل شيء:

- قشر الموز.
- قشر البطيخ.

[1] تقع جنوب الصحراء إلى الجنوب الشرقي من جمهورية مالي، هذي الجمهورية التي تقع إلى الجنوب الغربي من جمهورية الجزائر المساحلة على غرب البحر المتوسط.

- قشر البيض، فقد كان مدرسو العلوم في الإعدادي والثانوي يقولون لنا أنه غني بالكالسيوم، يمكن أن يضافَ إلى الملح بعد طحنه.
- قشر البرتقال واليوسفي، فقد كنا في مصر نضعه في المخللات، يوضع مع المخلل فيخلل معه وفيه، وهو أيضا مليء بالفائدات الصحيات المفيدات.
- قشر البصل؛ بل:
- وقشر الثوم... إلخ إلخ.

كل مهدَر مهمَل متخلف متبقًّى مهما كان رخيصًا أو قليلَ القيمة في نظرنا أو زهيدَ الثمن، ما قل منه أو كثر، فالإفادةُ منه حتمٌ وضرورة، لا مفرَّ منها، ولا مندوحةَ عنه.

ولذا كانت إماطة الأذى عن الطريق صدقةً؛ بل هي من الإيمان، فإن رفع هذا الأذى يؤدي إلى الإفادة منه؛ حيث يتحول من الأذى، أو من أذًى إلى نعمةٍ، ليس نقمة.

وقبل كل هذا وبعده الإفادة من ماء المطر أو غيره من مصادر المياه، قل أو كثر عملًا موصوفًا: ضرورةٌ ملحة فورية، على الفور، لا على التراخي، ولنضع أمامنا ما قوله سيدنا سعد بن أبي وقاص:

- أوفي الوضوء سَرَفٌ؟
- نعم ولو كنت على نهرٍ جارٍ!

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.